المنهج المسحي

تمهيد:

يلجأ الباحث إلى استخدام هذا الأسلوب حين يكون على علم بأبعاد أو جوانب الظاهرة التي يريد دراستها، نظرا لتوفر المعرفة بها من خلال بحوث استطلاعية أو وصفية سبق وأن أجريت عن الظاهرة، ولكنه يريد التوصل إلى معرفة دقيقة وتفصيلية عن عناصر الظاهرة موضوع البحث، تفيد في تحقيق فهم أفضل لها أو في وضع سياسات أو إجراءات مستقبلية خاصة بها. فالبحوث الوصفية كرصد حالة أي شيء، سواء كان هذا الشيء وضعا فيزيقيا أو خصائص مادية أو معنوية لأفراد (الرأي العام)، أو مجموعات أو نشاطا إنسانيا كالعمل الصحفي، أو مؤسسات كالمؤسسات الإعلامية مثلا، أو حتى أنماط التفاعل بين البشر كالتنافس أو التعاون أو الصراع ...إلى غير ذلك.

وقد يكون هذا الرصد أو الوصف كيفيا أو كميا، كما أنه قد يتركز على وضع قائم في وقت معين، أو يكون تتبعيا أي يستمر لفترات طويلة أو يجري على مرات متعددة. كما أنه قد يكون لخصائص ظاهرة سطحية أو معمقة. وقد يكون لشيء واحد ، أو لشيئين.

وقد يكون الهدف من الوصف مجرد الرصد من أجل الفهم، وقد يكون الهدف منه تقويم أوضاع قائمة، أو قد يكون لأغراض عملية مباشرة مثل التعرف على أعداد المدمنين على المخدرات لتحديد عدد المؤسسات العلاجية اللازمة لهم.

وتصنف البحوث الوصفية لهذه الأهداف أو وفقا لما تركز عليه، فيقال بحوثا تشخيصية، وبحوثا تقويمية وبحوثا علمية. كما تصنف إلى بحوث آنية أو تتبعية أو مقارنة، وإلى بحوث مسحية ودراسة للحالة. ويلاحظ هنا بالطبع تداخل أسس التصنيف.

1- تعريف المنهج المسحي:

حين يريد الباحث أن يدرس ظاهرة ما فإن أول خطوة يقوم بها هي وصف الظاهرة التي يريد دراستها وجمع أوصاف ومعلومات دقيقة عنها، والمنهج المسحي أو الوصفي يعتمد على دراسة الواقع أو الظاهرة كما توجد في الواقع ويهتم بوصفها وصفا دقيقا، ويعبر عنها تعبيرا كيفيا أو تعبيرا كميا. فالتعبير الكيفي يصف لنا الظاهرة ويوضح خصائصها، أما التعبير الكمي فيعطيها وصفا رقميا يوضح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها ودرجات ارتباط مع الظواهر المختلفة الأخرى.

ونعرف المنهج المسحي بأنه طريقة لوصف الظاهرة المدروسة وتصويرها كميا عن طريق جمع معلومات مقننة عن المشكلة وتصنيفها وتحليلها وإخضاعها للدراسة الدقيقة.

2- أهداف المنهج المسحي:

يهدف هذا المنهج إلى:

- جمع معلومات حقيقية ومفصلة لظاهرة موجودة فعلا في مجتمع معين.
- تحديد المشاكل الموجودة أو توضيح بعض الظواهر.
- إجراء مقارنة وتقييم لبعض الظواهر.
- تحديد ما يفعله الأفراد في مشكلة ما والاستفادة من آرائهم وخبراتهم، وفي وضع تصور وخطط مستقبلية واتخاذ قرارات مناسبة في مشاكل ذات طبيعة مشابهة.
- إيجاد العلاقة بين الظواهر المختلفة.

3- مراحل البحث المسحي:

أولا: الاستكشاف والصياغة: وتضم:

- تلخيص تراث العلوم المتصلة بمشكلة البحث.
- استشارة الأفراد ذوي الخبرة العلمية والعملية بالمشكلة المراد دراستها.
- تحليل بعض الحالات التي تزيد من استبصارنا بالمشكلة وتلقي مزيدا من الضوء عليها.

ثانيا: مرحلة التشخيص والوصف المتعمق.

4- خطوات المنهج المسحي:

- الشعور بمشكلة البحث وجمع المعلومات وبيانات تساعد على تحديدها.
- تحديد المشكلة التي يريد الباحث دراستها وصياغتها بشكل سؤال محدد أو أكثر من سؤال.
- وضع فرض أو مجموعة من الفروض كحلول مبدئية للمشكلة يتجه بموجبها الباحث للوصول إلى الحل المطلوب.
- وضع الافتراضات أو المسلمات التي سيبني عليها الباحث دراسته.
- اختيار العينة التي ستجرى عليها الدراسة مع توضيح حجم هذه العينة وأسلوب اختيارها.
- يختار الباحث أدوات البحث التي سيستخدمها في الحصول على المعلومات كالاستبيان أو المقابلة أو الملاحظة، وذلك وفقا لطبيعة المشكلة، ثم يقوم بتقنين هذه الأدوات وحساب صدقها وثباتها.
- القيام بجمع المعلومات المطلوبة بطريقة دقيقة ومنظمة.
- الوصول إلى النتائج وتنظيمها وتصنيفها.
- تحليل النتائج وتفسيرها واستخلاص التعميمات والاستنتاجات منها.

5- مزايا وعيوب البحث المسحي:

يتميز الأسلوب المسحي بعدة خصائص نذكر منها على سبيل المثال:

- أنه يقدم معلومات وحقائق عن واقع الظاهرة الحالي.
- يوضح العلاقة بين الظواهر المختلفة والعلاقة في الظاهرة نفسها كتوضيح العلاقة بين الأساليب والنتائج.
- يقدم تفسيرا للظواهر والعوامل التي تؤثر فيها مما يساعد على فهم الظاهرة نفسها.
- يعتبر الأسلوب الأكثر شيوعا واستخداما في العلوم الإنسانية.

ورغم المزايا السابقة للأسلوب الوصفي يوجه إليه الكثير من الانتقادات، ومن هذه الانتقادات:

- قد يعتمد الباحث على معلومات خاطئة من مصادر خاطئة.
- قد يتحيز الباحث في جمعه للمعلومات إلى مصادر معينة تزوده بما يرغب من المعلومات.
- يتم دمج المعلومات في الدراسات الوصفية عن طريق الأفراد، لهذا فإن عملية جمع المعلومات تتأثر بتعدد الأشخاص الذين يجمعونها وبأساليبهم المختلفة.
- إن قدرة الدراسات الوصفية على التنبؤ تبقى محدودة؛ وذلك لصعوبة الظاهرة الاجتماعية وسرعة تغيرها.